الفكـــر الاجتماعـــي

(Social Thought)

الفكر الاجتماعي هو الطبيعة الغالبة لنمط من الأفكار التي يتبناها المجتمع أو الجماعة ، أو هو ذلك الجزء من الفكر المتعلق بتمشية شؤون المؤسسات وتنظيم الأنشطة الاجتماعية . ويرتكز الفكر الاجتماعي على الأفكار الاجتماعية الجوهرية التي يؤمن بها المجتمع أو الجماعة ، علماً بأن هذا الفكر قد يمس الافكار الاجتماعية . إن صفات الفكر الاجتماعي إنما تتجسد في نقطتين أساسيتين هما:

أولاً : أن المجتمع ومؤسساته يمكن فهمها في ضوء المنظار التاريخي .

ثانياً : أن الطريقة المستعملة في قياس مصداقية المؤسسات هي الطريقة العقلانية التي تتوافق مع معايير العقلانية الفنية التي يمكن الحصول عليها من الاستخدامات الاساسية للحياة .

وعند دراستنا للفكر الاجتماعي علينا التركيز على المراحل التاريخية التي مر بها وتوضيح أسسه التجريبية والمعرفية . فكونت الفرنسي صاغ قانون المراحل الثلاث الذي ينص على أن كافة الافكار بضمنها الافكار الاجتماعية قد مرت ولا بد أن تمر خلال المرحلة الدينية والمرحلة الميتافيزيقية وأخيراً المرحلة العلمية الواقعية . وعلم الاجتماع كما يراه كونت هو حصيلة الفكر الاجتماعي العلمي . وهناك طروحات شبيهة في الماركسية وبقية الفلسفات الاجتماعية ونظريات التاريخ في القرن التاسع عشر . وعندما نفحص الصورة المعاصرة لمجتمعنا نجد أنها تأثرت بالمراحل التاريخية التي مر بها المجتمع عبر تاريخه القديم والحديث . ونستطيع تحديد حالة مجتمعنا من خلال مقارنتها بحالات المجتمعات الأخرى التي تمر بمراحل متباينة من التنمية والتطور . وبالطريقة نفسها نستطيع معرفة فكرنا الاجتماعي بمقارنته بالفكر الاجتماعي للمجتمعات الأخرى .

إن لكل مجتمع أفكاره الخاصة وإطاره واسلوب تفكيره . إن الفكر الاجتماعي هو فكر يدور حول أساليب التنشئة الاجتماعية والمقاييس والمثل

والمعايير السلوكية التي يتبناها الأفراد والجماعات ، وهو فكر يعتمد على طبيعة الأفكار والممارسات عند الأفراد والجماعات وهو فكر يتجاوب مع البيئة الاجتماعية ومع حقيقة العلاقات الانسانية في المجتمع . كما أن الفكر الاجتماعي هو فكر حي يتأثر بمتغيرات المحيط التي تقود الى تكامله وحيويته في تفسير الحياة الاجتماعية للمجتمع بمظاهرها الموضوعية والذاتية . ولا يكون الفكر الاجتماعي ساكناً وجامداً حيث أنه فكر متغير وداينميكي ، فهو يتغير من نمط الى نمط آخر بتغير ظروف الحياة وعوامل البيئة وملابسات المحيط وما يدور فيه من قوى ظاهرة وكامنة .

ومن الجدير بالذكر أن الفكر الاجتماعي يتأثر بظروف وملابسات الواقع الاجتماعي الذي ينطوي على العوامل الإقتصادية والاجتماعية .كما أن الفكر الاجتماعي وما يتضمنه من قيم ومقاييس ومثل يؤثر في الواقع الاجتماعي ويترك بصماته الواضحة عليه . إذن هناك علاقة جدلية ومتفاعلة بين الفكر الاجتماعي والواقع الاجتماعي ، فكل واحد منهما يؤثر ويتأثر بالأخر الى درجة أننا لا نستطيع تقديم أي منهما على الأخر . لذا يمكن القول بأن الفكر الاجتماعي مكمل للواقع الاجتماعي . ومثل هذا القول إنما يتناقض مع النظريات المادية التي تعتبر الفكر وليد الواقع ، ويتناقض مع النظريات المثالية والروحية التي تعتبر الواقع وليد الفكر .

متى بدأ الفكر الاجتماعي؟ اتفق العلماء على ان الانسان كائن يفكر. أي انه يتدبر. فهو لا يعيش ليومه انما يمتد مثل هذا اليوم ليكون موصولا بماضيه متصلا بمستقبله.

فالاهتمام بالماضي هو الذي وفر للاجتماع الإنساني خزيناً من المعرفة التي هي في الواقع تجارب مر بها الانسان، تتكون عناصرها من الانسان ذاته مضافا اليه الزمن والممارسة التي افرزت العديد من الواقعات والحادثات والحقائق. وقد تداخلت الواقعات والحادثات والحقائق وتم نقلها كلها من خلال الموروثات الشعبية (folklore) الى الحد الذي سمي فيه احد الثقات في علم الاجتماع، وهو هاوارد بيكر (H.Beeker) موسوعته الضخمة

بـ (social thought from legend to science) الفكر الاجتماعي من الخرافة الى العلم. وذلك تأكيدا لما حدث من خلط في النقل للواقعة والحادثة والحقيقة. ولكن عملية النقل ما لبثت ان تميزت اذ بقيت الواقعات تنقل فولكلورياً، اما الحادثات او الاحداث فأنها طورت لها وسيلة نقل جيدة هي التاريخ (History). وكان آخر ما استقل في وسيلة نقله هي الحقائق (Facts) والاجتماعية منها بالذات حيث وجدت في علم الاجتماع الوسيلة لنقلها. لذا فان هناك ميلا لدى قطاع كبير من العاملين في حقل علم الاجتماع، للتفريق بين الفكر الاجتماعي (فكر علم الاجتماع) وبين نظريته باعتبار ان المرحلة التي بدأت منذ بدايات الفكر الاجتماعي في الحضارات القديمة، وحتى اوكست كومت هي مرحلة (فكر اجتماعي) ومنذ كومت حتى الوقت الحاضر هي مرحلة نظرية لعلم الاجتماع. والواقع ان مثل هذا التقسيم فيه نوع من الانانية الحضارية اذ انه يغمط الجهود الاجتماعية الفاعلة لمفكرين آخرين ظهروا وفي الشرق الأدنى والوطن العربي بالذات ان لم ينسحب هذا على مفكرين ظهروا في الهند والصين وبلدان الحضارات القديمة. لذا فان فكر علم الاجتماع يمكن ان يضم الفكر الإنساني بمجمله، لان المجتمع وظواهره ومشكلاته هي بداية الفكر وعناصر استمراريته.